تشرين

سمير الصايغ .. عاشق الخط الكوفي

محمود شاهين

19/08/2007

(سمير الصايغ) فنان تشكيلي حروفي لبناني تربطه بالحروفية علاقة طويلة، فقد كان واحداً من الذين نظموا وشجعوا هذا التيار، ثم من أكثر الذين وجهوا النقد له

خاصة بعد وقوع تيار الحروفية في مطب المقولات السياسية، على حساب الجوانب الفنية التي يجب أن تبقى الأهم.

أبرز ما يميز تجربة الصايغ، الجسور التي تربطها بتجارب الفنانين الأوروبيين الذين فتنوا بالقدرات التشكيلية المتفردة للحرف العربي، ومارسوا فناً تجريدياً يتماهى في بعض جوانبه، مع تجريدية الفن العربي الإسلامي أمثال الفنان الروسي الأصل (فاسيلي كاندينسكي) والألماني (بول كليه) وهذا ما منح لوحة الصايغ، صيغة هندسية حداثية مردها اعتماد الفنان بشكل رئيسي، على الزخرفة الهندسية، والخط الكوفي المفتون به.
يقول الفنان سمير الصايغ إنه افتتن منذ البدء بالالتباس الإيجابي الذي يحمله الحرف العربي، فهو رمز ومصطلح وشكل واحتمال. وهو فيما بعد صار رقماً، وصار لغزاً وطلسماً. وفي الوقت الذي صار فيه عند البعض أداة سحرية، كان في الأساس مجلياً لوحي هذا التعدد الذي أدهشه ولا يزال يدهشه.

يشير الفنان الصايغ إلى أن الخط العربي، في الثلاثمئة سنة الأولى من الدعوة الجديدة، كان فناً قائماً بذاته، ولم يكن وسيلة من وسائل التواصل اللغوي. كان الخط يرتفع بنفسه ليكون لائقاً بالوحي. لم تكتب المصاحف الأولى لتقرأ، كتبت لتزين قدر ما تستطيع النص الواحد، كان علينا منذ البدء أن نحفظ غيباً هذا النص، وإن قرأناه كانت قراءته ترتيلاً.

ويتسائل الفنان سمير الصايغ قائلاً: إذاً ما دور الخط هنا؟ هذا التساؤل، قاده لأن يقف حيال الحروف موقف المتأمل، الباحث عن قدراتها الخفية، من أجل أن يستعين بتعدد وظائفها.

لقد انحاز الفنان الصايغ، منذ البداية، إلى الحروف كأشكال واحتمالات، وهي عندما تكون كذلك، فإنها تستجدي التغيير والتبدل والتعدد في تجلياتها، ومن هنا تحديداً جاء ارتباطه بما سماه (القلم الصوفي)!!.

ويؤكد الفنان الصايغ، أن حالة خاصة تلبسته وهو يشتغل على هذا الاتجاه، فكان كلما خطا خطوة، اتسعت الطريق وطالت، لكنه في الوقت نفسه لم ييأس، خاصة وأنه شعر باستجابة عدد لا بأس به من المشاهدين والنقاد والمهتمين، لما يشتغل عليه، وهذا ما دفعه لمتابعة البحث وتعميقه.

أثناء عملية البحث والدراسة والمتابعة في عالم الخط العربي خصوصاً، والفن الإسلامي بشكل عام، التقط الفنان الصايغ ظاهرة ملفتة، توقف عندها مطولاً، وهي اعتبار العديد من الفنانين والباحثين والأدباء، أن الماضي هو المرجعية، لكنهم ما عرفوا تحديد هذا الماضي، فقد وقف الجميع، في مسألة الخط، عند الفترة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، واعتبروا أن هذه الفترة هي القمة في إكمال الخط.

على العكس من هؤلاء جميعاً، يرى الفنان سمير الصايغ، أن هذه الفترة قمة الانحطاط لأنها انتصرت للشكلانية والقواعدية والحرفية. ويؤكد أن الماضي هو الروح وليس الشكل، أو القواعد. أو القدرات والخبرات.

ويرى الفنان الصايغ أنه إذا كان لابد لنا من العودة إلى الماضي، فيجب أن يعود إلى فترة التأسيس الأولى، إلى فترة الخط الكوفي، وابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصي، وإلى مئات الخطاطين الذين لم يتركوا أسماءهم لتدل عليهم. أي علينا أن نعود لنقف أمام المبدأ الجمالي. إلى الفلسفة الجمالية وليس إلى الآثار. ويجزم الفنان الصايغ، أنه عندما ننسخ ونكرر ونقلد، نكون في الواقع ضد الماضي وضد الأصول!!..

جاء اهتمام الفنان سمير الصايغ بمسألة الخط نتيجة اهتمامه بفن التراث، وقد انطلق من التيار الذي برز في الستينيات والسبعينيات والذي كان يبحث عن خصوصية فنية في الحياة العربية، من خلال استلهام التراث، ودمج الأصالة فيما يقدم من فن. كان يبحث عن حقيقة تجلي هذه الأعمال التي حاول أن يصل فيها إلى أهدافها. ومن البداية، أحس أن النتائج ليست على مستوى الطموح، وحاول أن يتلمس نقاط الضعف في هذا المسار. ولما كان قد تعرف على فن الخط منذ الطفولة، ومارسه فيما بعد في المراحل اللاحقة من عمره، وعاد إلى ممارسته بعد انقطاع طويل، انطلاقاً من الملاحظات التي سجلها في تجواله بين الحركة الفنية في معظم العواصم العربية الكبرى.

ويؤكد الفنان سمير الصايغ، أن بتطبيقنا لشعار الحداثة والأصالة، انفتحنا على القيم الغربية أكثر من استلهامنا أو عودتنا إلى التراث، حتى أن معظم الخطوات التي اتجهت صوب الماضي، مشت على الطرقات التي شقها المستشرقون أو الفنانون الغربيون المعجبون بتراثنا، لذلك دخلنا إلى بيوتنا من أبواب الغرب، من هنا علينا الاعتراف بصراحة، أننا اليوم أمام فنين مختلفين.

يرى الفنان سمير الصايغ أن الحرف أو الشكل، هو وحدة هندسية قائمة بذاتها، وهي بنظره الأساس الذي يتشكل منها، والذي يقوم عليها فن الشرق أو الفنون الشرقية، سواء كانت خطاً أو زخرفة أو موسيقا أو شعراً أو حتى بلاغة. فالوحدة في الشعر هي الحركة والساكن، وهي في الموسيقا زمن الصمت، وهي في الزخرفة هذه الثنائية بين المتوازيات، الكبير والصغير، المنحني والمنكسر، المستقيم والمنحني.

جميع الحقوق محفوظة © 2018